١ ـ التعريف بابن فارس (بقلم الأستاذ عبد السلام هارون)

لم تعين كتب التراجم تاريخاً لولادة أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي، على حين نجد الرواة يختلفون في نسبه ووطنه.

أما اختلافهم في اسمه فقد زعم ابن الجوزي ـ على ما رواه ياقوت، وهو ما رأيته في كتابه «**المنتظم**» نسخة دار الكتب المصرية ـ أن اسمه أحمد بن زكريا بن فارس[(١)]. ولكنَّ ياقوتا لا يعبأ بهذا القول الشاذ، ويذهب أنه قول «لا يعاج به».

وأما موطنه فندع القفطي[(٢)] يقول فيه: «واختلفوا في وطنه، فقيل كان من قزوين. ولا يصح ذلك، وإنما قالوه لأنه كان يتكلم بكلام القزاونة[(٣)]. وقيل: كان من رستاق الزهراء، من القرية المدعوة كرسف جياناباذ».

وقال ياقوت: «وجدت على نسخة قديمة لكتاب المجمل من تصنيف ابن فارس ما صورته: تأليف الشيخ أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الزهراوي الأستاذ خرزي. واختلفوا في وطنه، فقيل كان من رستاق الزهراء من القرية المعروفة بكرسفة وجياناباذ. وقد حضرت القريتين مراراً. ولا خلاف في أنه قروي. حدثني والدي محمد بن أحمد، وكان من جملة حاضري مجالسه، قال: أتاه آت فسأله عن وطنه، فقال: كرسف. قال: فتمثل الشيخ:

بـلاد بـهـا شُـدَّت عـلـيَّ تـمـائـمـي وأولُ أرض مـس جـلـدي تـرابـهـا[(٤)]

وكتبه مجمع بن محمد بن أحمد بخطه، في شهر ربيع الأول سنة ست وأربعين وأربعمائة». قال ياقوت: «وكان في آخر هذا الكتاب ما صورته أيضاً: قضى الشيخ أبو الحسين أحمد بن فارس رحمه الله في صفر سنة خمس وتسعين وثلاثمائة بالري، ودفن بها مقابل مشهد قاضي القضاة أبي الحسَن علي بن عبد العزيز، يعني الجرجاني».

فهذا النص الذي أورده ياقوت يكسب أبا الحسين بن فارس نسبتين أخريين: هما «الزهراوي»

---

(١) نجد هذه التسمية أيضاً فيما سيأتي من نقل عن ياقوت عن يحيى بن منده الأصبهاني. لكن ابن فارس نفسه يسمي والده في هذه المقدمة وكذلك في «**خاتمة الصاحبي**» (٢٣٢): «فارس بن زكريا». وهو نص قاطع.

(٢) «**إنباء الرواة**»مصورة دار الكتب المصرية.

(٣) ممن ذكره بنسبته «القزويني» أيضاً، السيوطي في «**بغية الوعاة**». وقال ياقوت: وذكره الحافظ السلفي في «**شرح مقدمة معالم السنن**» للخطابي، فقال: أصله من قزوين».

(٤) انظر «**زهر الآداب**» (٣/ ١٠٠).

و«الأستاذ خرزى»، غير نسبته المشهورة «الرازي» إلى مدينة «الري» قصبة بلاد الجبل.

ولعل في كثرة اضطراب أبي الحسين في بلاد شتى، ما يدعو إلى هذا الخلاف في معرفة وطنه الأول.

ويروي القفطي أيضاً أن «أصله من همذان، ورحل إلى قزوين إلى أبي الحسين إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن سلمة بن فخر، . . . فأقام هناك مدة، ورحل إلى زنجان إلى أبي بكر أحمد بن الحسن بن الخطيب راوية ثعلب، ورحل إلى ميانج».

ويروي ياقوت عن يحيى بن مَنْدَه الأصبهاني، قال: «سمعت عمي عبد الرحمان بن محمد العبدي يقول: سمعت أبا الحسين أحمد بن زكريا بن فارس النحوي يقول: دخلت بغداد[١] طالباً للحديث، فحضرت مجلس بعض أصحاب الحديث وليست معي قارورة، فرأيت شاباً عليه سِمَة من جمال فاستأذنته في كَتْب الحديث من قارورته فقال: من انبسط إلى الإخوان بالاستئذان، فقد استحق الحرمان».

فهو كما ترى قد تنقل في جملة من البلاد ساعياً للعلم، شأنَ طلاب العلم في ذلك الزمان، فاكتسب بذلك جماعة من الأنساب.

إقامته بهمذان:

ولكن المقام استقر به في معظم الأمر بمدينة همذان. قال ابن خلكان: «وكان مقيماً بهمذان». ويقول الثعالبي[٢] في ترجمته: «أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المقيم كان بهمذان. من أعيان العلم وأفذاذ الدَّهر، يجمع إتقان العلماء، وظرف الكتاب والشعراء. وهو بالجبل كابن لنكك بالعراق، وابن خالويه بالشام، وابن العلاف بفارس، وأبي بكر الخوارزمي بخراسان».

وقد تَلْمَذ له في أثناء إقامته الطويلة بهمذان أديبها المعروف «بديع الزمان الهمذاني» الذي يرجع الفضل كل الفضل في تأديبه إلى أبي الحسين أحمد بن فارس. قال الثعالبي في ترجمته بديعَ الزمان: «وقد درس على أبي الحسين بن فارس، وأخذ عنه جميع ما عنده، واستنفد علمه، واستنزف بحره».

انتقاله إلى الري:

ولما اشتهر أمره بهمذان وذاع صوته، استدعي منها إلى بلاط آل بويه بمدينة الري، ليقرأ عليه أبو طالب بن فخر الدَّولة علي بن ركن الدَّولة الحسن بن بويه الدَّيلمي. وهناك التقى برجل خطير كان يبغي من قبل أن يعقد صلة بينه وبينه، حتى لقد أنفذ إليه من همذان كتاباً من تأليفه، هو «**كتاب الحجر**»[٣]:

---

(١) من العجب أن الخطيب البغدادي لم يترجم له في كتابه «**تاريخ بغداد**»، مع أنه من شرط كتابه.

(٢) «**يتيمة الدهر**» (٣/ ٢١٤).

(٣) في «**إرشاد الأديب**»: (كان الصاحب منحرفاً عن أبي الحسين بن فارس؛ لانتسابه إلى خدمة آل العميد وتعصبه لهم، فأنفذ إليه من همذان «**كتاب الحجر**» من تأليفه، فقال الصاحب: رد الحجر من حيث جاءك. ثم لم تطب نفسه بتركه فنظر فيه وأمر له بصلة».

ذلك الرجل الخطير هو الصاحب إسماعيل بن عباد[١]. وفي هذه الآونة زال ما كان بين أبي الحسين وبين الصاحب من انحراف، كانت علته انتساب ابن فارس إلى خدمة آل العميد[٢] وتعصبه لهم. واصطفاه الصاحب حينئذ، وأخذ عنه الأدب، واعترف له بالأستاذية والفضل، وكان يقول فيه: «شيخنا أبو الحسين ممن رزق حسن التصنيف، وأمن فيه من التصحيف[٣]».

شيوخ ابن فارس وتلاميذه:

كان والد أبي الحسين فقيهاً شافعياً لغوياً، وقد أخذ عنه أبو الحسين فقه الشافعي، وروى عنه في كتبه[٤]. قال ابن فارس: «سمعت أبي يقول: سمعت محمد بن عبد الواحد يقول: إذا نُتِج ولدُ الناقة في

(١) هو أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن عباد. وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء، لأنه كان يصحب أبا الفضل بن العميد، فقيل له «صاحب ابن العميد» ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة، وبقي علماً عليه. وقيل إنما سمي الصاحب لأنه صحب مؤيد الدولة أبا منصر بويه بن ركن الدولة بن بويه الديلمي، وتولى وزارته بعد أبي الفتح علي بن أبي الفضل بن العميد، فلما توفي مؤيد الدولة في سنة ٣٧٣ بجرجان استولى على مملكته أخوه فخر الدين أبو الحسن علي، فأقر الصاحب على وزارته. توفي سنة ٣٨٥ بالري.

(٢) كان من أشهر آل العميد، أبو الفضل محمد بن الحسين. والعميد لقب والده الحسين، لقبوه بذلك على عادة أهل خراسان في إجرائه مجرى التعظيم. وكان أبو الفضل عماد آل بويه، وصدر وزرائهم، وهو الذي قيل فيه: «بدئت الكتابة بعبد الحميد، وختمت بابن العميد». قال الثعالبي في «**اليتيمة**» (٣/٨) في ترجمته ابن العميد: «وكان كل من أبي العلاء السروي، وأبي الحسن العلوي العباسي، وابن خلاد القاضي، وابن سمكة القمي، وأبي الحسين بن فارس، وأبي محمد مندو يختص به ويداخله وينادمه حاضراً، ويكاتبه ويجاوبه ويهادبه نثراً ونظماً». وكان أبو الفضل وزير ركن الدولة أبي الحسن علي بن بويه، والد عضد الدولة، تولى وزارته عقب موت وزيره أبي علي بن القمي سنة ٣٢٨ هـ. وللصاحب فيه مدائح كثيرة. ولما توفي أبو الفضل ولي الوزارة بعده لركن الدولة ولده أبو الفتح علي. ولما توفي ركن الدولة وولي بعده ولده «مؤيد الدولة» استوزره أيضاً. وكان بين أبي الفتح والصاحب منافرة، ويقال إن الصاحب أوغر قلب مؤيد الدولة عليه، فقبض عليه واعتقله وسامه سوء العذاب، وولى مكانه الصاحب بن عباد وقد روى ابن فارس في هذا الجزء من «**المقاييس**» عن أبي الفضل بن العميد.

(٣) ابن الأنباري وياقوت والسيوطي في «**البغية**».

(٤) مما هو جدير بالذكر أن ابن فارس ظل دهراً شافعي المذهب، ولكنه في آخر أمره حين استقر به المقام في مدينة الري، تحول إلى مذهب المالكية. ولما سئل عن ذلك قال: «أخذتني الحمية لهذا الإمام أن يخلو مثل هذا البلد عن مذهبه، فعمرت مشهد الانتساب إليه حتى يكمل لهذا البلد فخره؛ فإن الري أجمع البلاد للمقالات والاختلافات في المذاهب، على تضادها وكثرتها»، انظر «**نزهة الألباء**» (٣٩٣).

الربيع ومضت عليه أيام فهو رُبَع، فإذا نُتج في الصيف فهو هُبَع، فإذا نتج بين الصيفِ والربيع فهو بُعَّة[(١)]».

وأنت تجد في مقدمة ابن فارس لكتاب المقاييس نصّاً على أنه روى كتاب «**المنطق**» لابن السكيت عن أبيه فارس بن زكريا.

وكان أبوه أيضاً رجلاً أديباً راوية للشعر. قال ياقوت: «وحدث ابن فارس: سمعت أبي يقول: حججت فلقيت ناساً من هذيل، فجاريتهم ذكر شعرائهم فما عرفوا أحداً منهم، ولكني رأيت أمثل الجماعة رجلاً فصيحاً، وأنشدني:

إذا لم تَحظَ في أرضٍ فدعْها ... وحُثَّ اليَعمَلاتِ على وَجاها
ولا يَغْرُرْكَ حَظُّ أخيك فيها ... إذا صَفِرَتْ يمينُك مِن حَداها
ونفسَك فُزْ بها إن خفت ضيماً ... وخَلِّ الدَّارَ تنعَى مَن بكاها
فإنك واجدٌ أرضاً بأرض ... ولستَ بواجدٍ نفساً سواها

ومن شيوخه أيضاً أبو بكر أحمد بن الحسن الخطيب راوية ثعلب، وهذه الأستاذية تفسر لنا السر في أن ابن فارس كان نحوياً على طريقة الكوفيين.

ومن شيوخه كذلك أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة القطان. وقد أكثر ابن فارس من الرواية عنه في كتابه «**الصاحبي**»، ونص في مقدمة المقاييس أنه قرأ عليه كتاب «**العين**» المنسوب إلى الخليل.

وفي عداد شيوخه أبو الحسن علي بن عبد العزيز صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام، وقد روى عنه ابن فارس كتابَيْ أبي عبيد: «**غريب الحديث**»، و«**مصنف الغريب**»، كما نص في المقدَّمة.

ومنهم أبو بكر محمد بن أحمد الأصفهاني، وعلي بن أحمد الساوي، وأبو القاسم سلمان بن أحمد الطبراني.

والشيخ الذي كان يسترعي انتباه ابن فارس وإعجابَه الشديد، هو أبو عبد الله أحمد بن طاهر المنجم. وفيه يقول ابن فارس[(٢)]: «ما رأيت مثل أبي عبد الله بن طاهر، ولا رأى هو مثل نفسه».

وأما تلاميذ ابن فارس فكثيرون، وكان من أشهرهم بديع الزمان الهمذاني، وأبو طالب بن فخر الدَّولة البويهي، والصاحب إسماعيل بن عباد، كما أسلفنا القول.

وقال ابن الأنباري: «وكان له صاحب يقال له أبو العباسِ أحمد بن محمد الرازي المعروف بالغضبان، وسبب تسميته بذلك أنه كان يخدمه ويتصرف في بعض أموره. قال: فكنت ربما دخلت فأجد

(١) «**نزهة الألباء**» (٣٩٣، ٣٩٤).

(٢) «**نزهة الألباء**»، و«**إرشاد الأريب**».

فرش البيت أو بعضه قد وهبه، فأعاتبه على ذلك وأضجر منه، فيضحك من ذلك ولا يزول عن عادته. فكنت متى دخلت عليه ووجدت شيئاً من البيت قد ذهب علمت أنه قد وهبه، فأعبس وتظهر الكآبة في وجهي، فيبسطني ويقول: ما شأن الغضبان! حتى لحق بي هذا اللقب منه، وإنما كان يمازحني به».

ومن تلاميذه أيضاً علي بن القاسِم المقرىء، وقد قرأ عليه كتابه «**أوجز السير لخير البشر**» المطبوع في الجزائر وبمباي، ويفهم من هذا الكتاب أن ابن فارس أقام في مدينة الموصل زماناً وقرأ عليه المقرى فيها هذا الكتاب.

وفاته:

لم يختلف المؤرخون في أن ابن فارس قد قضى نحبه في مدينة الري، أو المحمدية[1]، وأنه دُفن بها مقابلَ مشهد قاضي القضاة أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني.

ولكنهم يختلفون في تاريخ وفاته على أقوال خمسة:

فقيل توفي سنة (٣٦٠ هـ) كما نقل ياقوت عن الحميدي، وعقب على ذلك بأنه قول لا اعتبار به. وقيل كانت وفاته سنة (٣٦٩ هـ) ذكر ذلك ابن الجوزي في المنتظم، ونقله عنه ياقوت. وعَدَّه ابن الأثير أيضاً في وفيات سنة ٣٦٩ هـ.

وذكر ابن خَلّكان أنه توفي سنة (٣٧٥ هـ) بالمحمدية.

وقيل إنه توفي سنة (٣٩٠) ذكر ذلك ابن خلكان أيضاً، وابن كثير في أحد قوليه في كتابه «**البداية والنهاية**»، وكذا اليافعي في مرآة الجنان، وصاحب «**شذرات الذهب**».

وأصح الأقوال وأولاها بالصواب أن وفاته كانت سنة (٣٩٥ هـ) كما ذكر القفطي في «**إنباه الرواة**»، وكما نقل السيوطي عن الذهبي في «**بغية الوعاة**»، قال: «وهو أصح ما قيل في وفاته». وذكره أيضاً في هذه السنة ابن تَغْرِي بَرْدِي في «**النجوم الزاهرة**»، وابن كثير في «**البداية والنهاية**». وهو الذي استظهره ياقوت، إذ وجد هذا التاريخ على نسخة قديمة من كتاب «**المجمل**»[2].

وذكر في «**معجم البلدان**» (٧/ ٣٣٩) أنه وجد كتاب تمام الفصيح بخط ابن فارس، كتبه سنة ٣٩٠هـ.

وفي «**إرشاد الأريب**» أنه وجد خطه على كتاب «**[تمام] الفصيح**» تصنيفه وقد كتبه سنة ٣٩١ هـ.

فهذا كله يؤيد القول أنه توفي سنة ٣٩٥ هـ.

وروى أكثر من ترجم له أنه قال قبل وفاته بيومين:

---

(١) المحمدية هذه محلة بالري، كما حقق ياقوت في «**معجم البلدان**».

(٢) انظر ص (١) من هذه المقدمة. وكذا ما سيأتي من الكلام على «**تمام فصيح الكلام**» في مؤلفات ابن فارس؛ إذ تجد نسخة منه قد كتبت في سنة ٣٩٣ هـ.

يا ربّ إنَّ ذنوبي قد أحطتَ بها علماً وبي وبإعلاني وإسراري
أنا الموحِّد لكني المقرُّ بها فهب ذنوبي لتوحيدي وإقراري

٢ - ابن فارس الأديب

لم يكن ابن فارس من العلماء الذين ينزَوُون على أنفسهم ويكتفون بمجالس العلم والتعليم، بل كان متصلاً بالحياة أكمل اتصال، ماداً بسببه إلى نواحٍ شتى منها.

شعره :

فهو شاعر يقول الشعر ويرقّ فيه، حتى لَينمّ شعره عن ظَرفه وحسن تأتّيه في الصنعة على طريقة شعراء دهره. وهو ملحٌّ في التهكم والسخرية، لا ينسى السخرية في الغزل فيقول[١] :

مرت بنا هيفاءُ مقدودةٌ تُركيَّةٌ تُنمَى لتركي
ترنو بطرف فاتنٍ فاتر كأنه حُجّة نحويّ

فيجعل من حجة النحوي في ضعفها على ما يراه، شبهاً لطرف صاحبته الفاتن الفاتر. وهو يستعملها في تصوير حظوظ العلماء والأدباء إذ يقول:

وصاحب لي أتاني يستشير وقد أرادَ في جَنَبَات الأرض مُضطرَبَا[٢]
قلتُ اطَّلِبْ أيَّ شيء شئتَ واسْعَ ورِدْ منه المَواردَ إلَّا العلمَ والأدبا

وهو يتبرم بهمَذان والعيشِ فيها، فيرسم حياته فيها على هذا النحو الساخر البديع:

سقى همذَان الغيثُ لستُ بقائلٍ سوى ذا وفي الأحشاء نار تَضرَّمُ[٣]
وما ليَ لا أُصفِي الدُّعاءَ لبلدةٍ أفدتُ بها نسيانَ ما كنتُ أعلم
نَسِيت الذي أحسنتُه غيرَ أنني مَدِينٌ وما في جوف بيتيَ درهم

وهو صاحبُ حملة ماجنة على من يزهدون فِي الدّينار والدّرهم، ويطلبون المجد في العلم والعقل؛ أنشد البيروني له[٤]:

قد قال فيما مضى حكيم ما المرء إلا بأصغريهِ

---

(١) ياقوت، والثعالبي، وابن خلكان، واليافعي، وابن العماد في «**شذرات الذهب**».

(٢) ياقوت والثعالبي.

(٣) ياقوت، والثعالبي، وابن خلكان، وابن العماد.

(٤) الآثار الباقية ص ٣٣٨ وياقوت.

فقلت قول امرئ لبيبٍ ما المرء إلا بدرهميه
من لم يكن مَعْهُ درهماه لم تلتفت عِرسُه إليه
وكان من ذُلّهِ حقيرا تبول سِنَّورُه عليه

ولابن فارس التفات عجيب إلى السنور، وقد سجل في غير هذا الموضع من شعره أنه كان يصطفي لنفسه هرة تلازمه، وتنفي عنه هموم قلبه ووساوس النفس:

وقالوا كيف أنت فقلت خيرٌ تُقَضَّى حاجةٌ وتفوت حاجُ
إذا ازدحمت همومُ القلب قلنا عَسى يوماً يكون لها انفراجُ
نديمي هِرّتيْ وسرور قلبي دفاترُ ليْ ومعشوقيْ السراجُ(١)

وهو بصير ذو خبرة بطبائع الناس، واستئسارهم للمال، وخضوعهم له:

إذا كنت في حاجة مرسِلا وأنت بها كَلِفٌ مغرمُ
فأرسِلْ حكيماً ولا توصِهِ وذاك الحكيم هو الدرهم(٢)

ويقول:

عتبتُ عليه حين ساء صنيعه وآليت لا أمسيتُ طَوع يديهِ
فلما خَبَرت الناس خُبر مجرّب ولم أر خيراً منه عدت إليه(٣)

ويقول أيضاً:

يا ليت لي ألف دينارٍ موجَّهةً وأن حظيَ منها حظُّ فَلاّسِ(٤)
قالوا فما لَكَ منها، قلت تخدمُني لها ومن أجلها الحمقى من الناس(٣)

ويستعمل التهكم في أمور أخرى إذ يقول لمن يتكاسل في طلابِ العلم:

إذا كان يؤذيك حر المصيف ويُبْس الخريف وبردُ الشتا
ويلهيك حُسنُ زمان الربيع فأخذك للعلم قل لي متى(٥)

---

(١) «**يتيمة الدهر**»، و«**دمية القصر**»، و«**نزهة الألباء**»، و«**المنتظم**»، و«**ياقوت**» وابن خلكان، واليافعي، وابن العماد.

(٢) الثعالبي، وياقوت، وابن خلكان واليافعي، وابن العماد.

(٣) الثعالبي، وياقوت.

(٤) الفلاس: بائع الفلوس.

(٥) الثعالبي وياقوت والقفطي.

ولمن يقدّر لأمر الدُّنيا، ويَجْري القضاءُ بخلاف ما قدَّر:

تَلَبَّسْ لباسَ الرضا بالقضا وخلِّ الأمورَ لمن يَملِكُ
تقدّرُ أنت وجاري القضا ءِ مما تقدِّره يَضحكُ[1]

وروى له الثعالبي في خاص الخاص ١٥٣:

اسمع مقالة ناصح جمع النصيحة والمقةْ
إياك واحذر أن تكو ن من الثقات على ثقةْ

استعمال الشعر في تقييد مسائل اللغة:

ولعلّ ابن فارس من أقدم من استعمل أسلوب الشعر في تقييد مسائل اللغة والعربية. قال ياقوت: «قرأت بخط الشيخ أبي الحسن عليّ بن عبد الرحيم السُّلَمي: وجدت بخط ابن فارس على وجه «**المجمل**» ـ والأبياتُ له ـ ثم قرأتها على سعد الخير الأنصاري، وأخبرني أنه سمعها من ابن شيخه أبي زكريا، عن سليمان بن أيوب، عن ابن فارِس:

يا دارَ سُعدى بذات الضال من إضَمِ سقاكِ صوبُ حياً من واكف العَيْنِ

العين: سحاب ينشأ من قبل القبلة.

تُدْني معَشَّقةً مِنّا معتَّقةً في كل إصباح يومٍ قرةُ العَيْنِ

العين هاهنا: عين الإنسان وغيره.

إذا تمزَّزَها شيخٌ به طَرَقٌ سرت بقُوَّتها في الساق والعَيْنِ

العين هاهنا: عين الركبة. والطرق: ضعف الركبتين.

والزقُّ ملآنُ من ماء السرور فلا تخشى تولُّهَ ما فيه من العين

العين هاهنا: ثقب يكون في المزادة، وتوله الماء: أن يتسرب.

وغاب عُذَّالُنا عنَّا فَلا كدرٌ في عيشنا من رقيب السَّوْءِ والعينِ

العين هاهنا: الرقيب.

يقسّم الودَّ فيما بيننا قِسَما ميزانُ صدقٍ بلا بَخْسٍ ولا عينِ

العين هاهنا: العين في الميزان[2].

---

(١) الثعالبي وياقوت.

(٢) هو الميل فيه.

وفائض المال يغنينا بحاضره   فنكتفي من ثقيل الدَّين بالعَيْن[١]

العين هاهنا: المال الناضّ.

رئيه في النقد:

وابن فارس يلم أيضاً بالحياة الأدبية في عصره، ولا يتزمّت كما يتزمّت كثير من اللغويين الذين ينصرفون عن إنتاج معاصريهم ولا يقيمون له وزناً، فهو يصغي إلى نشيدهم ويروي لكثير منهم، وينتصر للمحسن وينتصف له من المتعصبين الجامدين، الذين يزيِّفون شعر المحدَثين ويستسقطونه.

وإليك فصلاً من رسالة له كتبها لأبي عمرو محمد بن سعيد الكاتب[٢]؛ لتستبينَ مذهبه ذلك، وتلمس أسلوبه الفني الأدبي:

«ألهمك الله الرشاد، وأصْحَبَك السداد، وجنَّبك الخلافَ، وحبب إليك الإنصافَ. وسبب دعائي بهذا لك إنكارك على أبي الحسن محمد بن علي العجلي تأليفه كتاباً في الحماسة وإعظامك ذلك. ولعله لو فعل حتى يُصيبَ الغرض الذي يريده، ويَرِد المنهل الذي يؤمُّه، لاستدركَ من جيّد الشعر ونقيِّه، ومختاره ورضِّيه، كثيراً مما فات المؤلِّف الأول. فماذا الإنكار، ولِمه هذا الاعتراض، ومن ذا حَظَر على المتأخِّر مضادَّة المتقدِّم، ولمه تأخذ بقول من قال: ما ترك الأول للآخر شيئاً، وتدع قول الآخر:

كم ترك الأوَّل للآخِر

وهل الدُّنيا إلا أزمان، ولكل زمان منها رجال. وهل العلوم بعد الأصول المحفوظة إلا خطرات الأوهام ونتائج العقول. ومَن قصر الآداب على زمانٍ معلوم، وقفها على وقت محدود؟! ولمه لا ينظر الآخر مثلما نظر الأوَّل حتى يؤلف مثلَ تأليفه، ويجمع مثل جمعه، ويرى في كل مثل رأيه. وما تقول لفقهاء زماننا إذا نزلت بهم من نوادر الأحكام نازلة لم تخطر على بال مَن كان قبلهم. أو ما علمت أن لكل قلب خاطراً، ولكل خاطر نتيجة. ولمه جاز أن يقال بعد أبي تمام مثل شعره ولَمْ يجُز أن يؤلف مثلُ تأليفه. ولمه حجرت واسعاً وحظرت مباحاً، وحرمت حلالاً وسددتَ طريقاً مسلوكاً. وهل حبيبٌ إلا

---

(١) كتاب «**العين**» هو المنسوب إلى الخليل، وكتاب «**الجيم**» لأبي عمرو الشيباني، رووا أنه أودعه تفسير القرآن وغريب الحديث، وكان ضنينا به لم ينسخ في حياته ففقد بعد موته. وقال أبو الطيب اللغوي: «وقفت على نسخة منه فلم نجده يبدأ من الجيم». انظر «**كشف الظنون**». وروى السيوطي في «**المزهر**» (١/ ٩١) عن ابن مكتوم القيسي قوله: «وقفنا على نسخة من كتاب «**الجيم**» فلم نجده مبدوء بالجيم» وانظر قصيدة تشبه هذه، في معنى «الخال» رواها صاحب «**اللسان**» (١٣/ ٢٤٦، ٢٤٧).

(٢) «**يتيمة الدهر**» (٢/ ٢١٤ ـ ٢١٨).

واحد من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم. ولمه جاز أن يُعارَض الفقهاءُ في مؤلفاتهم، وأهل النحو في مصنفاتهم، والنّظار في موضوعاتهم، وأرباب الصناعات في جميع صناعاتهم، ولم يجز معارضة أبي تمام في كتابٍ شذ عنه في الأبواب التي شرعها فيه أمرٌ لا يدرك ولا يدرى قدره.

ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير، ولذهَب أدب غزير، ولضلت أفهام ثاقبة، ولكلَّتْ ألسنٌ لِسنة، ولما توشَّى أحد بالخطابة، ولا سلك شعباً من شعاب البلاغة، ولمجت الأسماع كل مردود مكرر، وللفظت القلوب كل مرجَّع ممضَّغ. وحَتَّامَ لا يسأم:

لو كنتُ من مازن لم تستبح إبلي

وإلى متى

صفَحْنا عن بَني ذَهل

ولمه أنكرت على العجليّ معروفاً، واعترفت لحمزة بن الحسين ما أنكره على أبي تمام، في زعمه أن في كتابه تكريراً وتصحيفاً، وإيطاءً وإقواءً، ونقلاً لأبياتٍ عن أبوابها إلى أبوابٍ لا تليق بها ولا تصلح لها؛ إلى ما سوى ذلك من روايات مدخولة، وأمور عليلة. ولمه رضيت لنا بغير الرضى، وهلا حثثت على إثارة ما غيبته الدهور، وتجديد ما أخلقته الأيام، وتدوين ما نُتِجته خواطر هذا الدَّهر، وأفكار هذا العصر. على أن ذلك لو رامه رائم لأتعبه، ولو فعله لقرأتَ ما لم ينحط عن درجة من قبله، مِن جدٍّ يروعك، وهزل يروقك، واستنباط يعجبك، ومزاحٍ يُلهيك.

وكان بقزوين رجل معروف بأبي حامد الضرير القزويني، حضر طعاماً وإلى جنبه رجل أكول، فأحسَّ أبو حامد بجودة أكله فقال:

وصاحب لي بطنه كالهاويه كأن في أمعائه معاويه[1]

فانظر إلى وجازة هذا اللفظ، وجودة وقوع الأمعاء إلى جنبِ معاوية. وهل ضر ذلك أن لم يقله حماد عجرد وأبو الشمقمق. وهل في إثبات ذلك عار على مثبته، أو في تدوينه وضمة على مدوِّنه.

وبقزوين رجل يعرف بابن الرياشي القزويني، نظر إلى حاكم من حكامها من أهل طبرستان مقبلاً، عليه عمامة سوداء وطيلسان أزرق، وقميص شديد البياض، وخُفٌّ أحمر، وهو مع ذلك كله قصير، على برذون أبلقَ هزيل الخلق، طويل الحلق، فقال حين نظر إليه:

وحاكمٍ جاء على أبلقِ كعَقعَقٍ جاء على لَقلَقِ

فلو شهدت هذا الحاكم على فرسه لشهدتَ للشاعر بصحَّة التشبيه وجودة التمثيل، ولعلمت أنه لم يقصر عن قول بشار:

---

(١) المعاوية: الكلبة التي تعاوي الكلاب وتنابحها، وبها سمي الرجل.

كأن مثار النقع فوق رؤوسهم وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فما تقول لهذا. وهل يَحسن ظلمه، في إنكار إحسانه، وجحود تجويده.

وأنشدني الأستاذ أبو علي محمد بن أحمد بن الفضل، لرجل بشيراز يعرف بالهمذاني وهو اليوم حي يرزق، وقد عاتبَ[1] بعضَ كتابها على حضوره طعاماً مرض منه:

وُقيتَ الردى وصروفَ العلل ولا عَرَفت قدماك العللْ
شكا المرضَ المجدُ لما مرضـ ـتَ فلما نهضتَ سليماً أبل
لك الذنب لا عتب إلا عليك لماذا أكلت طعام السِّفَلْ

وأنشدني له في شاعر هو اليوم هناك يعرف بابن عمرو الأسدي، وقد رأيته فرأيت صفة وافقت الموصوف:

وأصفر اللون أزرق الحدقه في كل ما يدعيه غير ثقه
كأنه مالك الحزين إذا همَّ بزَرْقٍ وقد لوى عنقَه
إن قمتُ في هجوه بقافيةٍ فكل شعرٍ أقوله صدقَه

وأنشدني عبد الله بن شاذان القاري، ليوسف بن حمويه من أهل قزوين؛ ويعرفُ بابن المنادى:

إذا ما جئتَ أحمد مستميحا فلا يغررْكَ منظرُه الأنيقُ
له لطف وليس لديه عرفُ كبارقةٍ تروق ولا تريق
فما يخشى العدو له وعيداً كما بالوعد لا يثق الصديق

وليوسفَ محاسن كثيرة، وهو القائل ـ ولعلك سمعت به ـ:

حجُّ مثلي زيارةُ الخمارِ واقتنائي العَقارَ شُربُ العُقارِ
ووقاري إذا توقر ذو الشيـ ـبةِ وَسْطَ النَّديِّ تركُ الوقارِ
ما أبالي إذا المدامةُ دامتْ عَذْلَ ناهٍ ولا شناعةَ جارِ
رُبَّ ليلٍ كأنه فرعُ ليلى ما به كوكبٌ يلوح لساري
قد طويناه فوق خِشفٍ كحيلٍ أحورِ الطرفِ فاترٍ سَحّارِ
وعكفنا على المُدامة فيه فرأينا النهار في الظهر جاري

وهي مليحةٌ كما ترى. وفي ذكرها كلِّها تطويل، والإيجاز أمثل. وما أحسبك ترى بتدوين هذا وما أشبهه بأساً.

---

(١) في الأصل: «عاب».

ومدح رجلٌ بعض أمراء البصرة، ثم قال بعد ذلك وقد رأى توانياً في أمره، قصيدَةً يقول فيها كأنه يجيب سائلاً:

جوَّدتَ شعرَكَ في الأميـ ـرِ فكيفَ أمْرُكَ قلتُ فاتر

فكيفَ تقول لهذا، ومن أي وجه تأتي فتظلمه، وبأي شيء تعانده فتدفعه عن الإيجاز، والدلالة على المراد بأقصر لفظٍ وأوجز كلام. وأنت الذي أنشدتني:

سَدَّ الطريقَ على الزما نِ وقام في وجه القطوب

كما أنشدَتني لبعض شُعراء الموصل:

فدَيتك ما شبت عن كُبرةٍ وهذي سِنِيَّ وهذا الحسابُ
ولكن هُجِرتُ فحَلَّ المشيبُ
ولو قد وُصِلتُ لعاد الشبابُ

فلِمَ لم تخاصم هذين الرجلين في مزاحمتهما فحولة الشعراء وشياطين الإنس، ومَرَدة العالَم في الشعر.

وأنشدني أبو عبد الله المغلسي المراغي لنفسه:

غداةَ تولت عِيسُهم فترحلوا بكيت على ترحالهم فعميتُ
فلا مُقلتي أدّت حقوقَ وِدادهم ولا أنا عن عيني بذاك رضيتُ

وأنشدني أحمد بن بندار لهذا الذي قدمت ذكره، وهو اليوم حي يرزق:

زارَني في الدُّجى فنَمَّ عليه طيبُ أردانِه لدى الرقباء
والثريا كأنها كفُّ خَودٍ أُبرِزَت من غِلالةٍ زرقاءِ

وسمعت أبا الحسين السروجي يقول: كان عندنا طبيب يسمى النعمان، ويكنى أبا المنذر، فقال فيه صديقٌ لي:

أقول لنعمانٍ وقد ساق طبُّه نفوساً نفيساتٍ إلى باطن الأرضِ
أبا منذر أفنيتَ فاستبقِ بعضَنا حنانيك بعضُ الشرِّ أهون من بعضِ[١]

وهذا الفَصل الذي أورده الثعالبي من رسالة ابن فارس، إلى ما رواه ياقوت في «**إرشاد الأريب**»[٢] من مساجلة أدبية بين ابن فارس وعبد الصَّمد بن بابك الشاعر المعروف، يظهرنا على مدى اتصال أبي الحسين بالحركة الأدبية في عصره.

---

(١) البيت لطرفة في «**ديوانه**» ٤٨ .

(٢) أنظر نهاية ترجمة ابن فارس في «**إرشاد الأريب**».

٣ ـ ابن فارس اللغوي

عرف ابن فارس بمعرفته الواسعة باللغة، وكتابه «**المجمل**» في اللغة لا يقل كثيراً في الشهرة عن كتاب «**العين**»، و«**الجمهرة**»، و«**الصِّحاح**».

توثيقه:

وقد عرف ابن فارس بالتزامه إيراد الصحيح من اللغات. قال السيوطي بعد أن سرد طائفة من كتب اللغة المشهورة[١]: «وغالب هذه الكتب لم يلتزم فيها مؤلفوها الصحيح، بل جمعوا فيها ما صح وغَيْرَه، وينبهون على ما لم يثبت غالباً. وأول من التزم الصحيحَ مقتصراً عليه، الإمامُ أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، ولهذا سمى كتابه «**بالصِّحاح**»». ثم قال: «وكان في عصر صاحب «**الصحاح**» ابنُ فارس، فالتزم أن يذكر في «**مجمله**» الصَّحيح، قال في أوله: قد ذكرنا الواضح من كلام العرب والصَّحيحَ منه، دون الوحشي والمستنكر... وقال في آخر «**المجمل**»: قد توخيت فيه الاختصار، وآثرت فيه الإيجاز، واقتصرت على ما صح عندي سماعاً، ومن كتاب صحيح النسب مشهور، ولولا تَوَخِّي ما لم أشكُك فيه من كلام العرب لوجدْت مقالاً».

والناظر في كتاب «**المقاييس**»، يلمس من ابن فارس حرصَه على إيراد الصَّحيح من اللغات، ويَرَى أيضاً صدق تحرّيه، وتحرُّجَه من إثبات ما لم يصحّ. وهو مع كثرة اعتماده على ابن دريد، ينقد بعض ما أورده في كتابه «**الجمهرةِ**» من اللغات، ويضعه على محكّ امتحانه وتوثيقه، فإذا فيه الزيف والرَّيب[٢].

وَلوعه باللغة:

وقد بلغ من حبه للغة وعشقه لها، أن ألَّف فيها ضروباً من التأليف، وكان يستحث عزيمة معاصريه من الفقهاء أن ينهضوا بتعرُّف اللغة والتبحر فيها، وألف لهم فناً من الإلغاز سماه «فتيا فقيه العرب»، يضع لهم مسائل الفقه ونحوَها في معرض اللغة. ولعل الإمام الشافعي أول من عرف بهذا الضرب من المعاياة اللغوية الفقهية[٣].

قال السيوطي، عند الكلام على «**فتيا فقيه العرب**»: «وقد ألف فيه ابن فارس تأليفاً لطيفاً في كراسة، سماه بهذا الاسم. رأيته قديماً وليس هو عندي الآن». وقد أجمع المترجمون لابن فارس على أن الحريري في المقامة الثانية والثلاثين (الطَّيْبيَّة) قد اقتبس من ابن فارسٍ ذلك الأسلوب، في وضع

---

(١) «**المزهر**» (١/ ٩٧).

(٢) انظر المقاييس (جعم ٤٦١ س ١٠ ـ ١١، ٤٦٢ س ١ ـ ٢) و(جفز س ١ ـ ٢) وص (٤٦٤ س ٥ ـ ٦).

(٣) انظر نماذج شتى من فتياه في نهاية الجزء الأول من «**مزهر السيوطي**». على أن من أقدم من ألف في فن الإلغاز اللغوي، ابن دريد، وكتابه «**الملاحن**» قد طبع في القاهرة ١٣٤٧ بالمطبعة السلفية.

المسائل الفقهية بمعرض اللغة.

ويصوّر لنا القفطي في إنباه الرواة صدق دعوته للغة بقوله: «وإذا وجد فقيهاً، أو متكلماً، أو نحوياً، كان يأمر أصحابه بسؤالهم إياه، ويناظره في مسائل من جنس العلم الذي يتعاطاه، فإن وجده بارعاً جَدِلاً جَرَّه في المجادلة إلى اللغة فيغلبه بها. وكان يحثُّ الفقهاء دائماً على معرفة اللغة، ويلقي عليهم مسائل ذكرها في كتاب سماه «**فتيا فقيه العرب**»، ويخجلهم بذلك، ليكون خجلهم داعياً إلى حفظ اللغة، ويقول: من قصر علمه في اللغة وغولط غلط».

حذقه باللغة وتأليفه كتاب «المقاييس»:

على أن ابن فارس في كتابِه هذا «**المقاييس**»، قد بلغ الغاية في الحذق باللغة، وتكنُّه أسرارها، وفهم أصولها؛ إذ يردُّ مفرداتِ كلّ مادة من مواد اللغة إلى أصولها المعنوية المشتركة فلا يكاد يخطئه التوفيق. وقد انفرد من بين اللغويين بهذا التأليف، لم يسبقه أحدٌ ولم يخلُفْه أحَد. وأرى أن صاحبَ الفضل في الإيحاء إليه بهذه الفكرة العبقرية هو الإمام الجليل أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد[١]؛ إذ حاول في كتاب «**الاشتقاق**» أن يرد أسماء قبائل العرب وعمائرها، وأفخاذها وبطونها، وأسماء ساداتها وثُنيانها، وشعرائها وفرسانها وحكامها، إلى أصول لغوية اشتُقَّت منها هذه الأسماء. ويقول ابن دريد في مقدّمة «**الاشتقاق**»: «ولم نَتعدَّ ذلك إلى اشتقاق أسماء صنوف النامي من نبات الأرض نجمِها وشجرِها وأعشابها ولا إلى الجماد من صخرها ومَدَرها وحَزْنها وسهلها؛ لأنا إن رُمْنا ذلك احتجنا إلى اشتقاق الأصول التي تشتق منها، وهذا ما لا نهاية له».

ومما هو بالذكر جدير، أن ابن فارسٍ كان يتأسّى بابن دريد في حياته العلمية والأدبية والتأليفية، وهو بلا ريب قد اطَّلع على هذه الإشارة من ابن دريد، فحاول أن يقوم بما عجز عنه ابن دريد أو نكص عنه، فألَّف كتابه هذا «**المقاييسَ**»، يطْرُد فيه قاعدة الاشتقاق فيما صحَّ لديه من كلام العرب.

الاشتقاق:

والكلام في الاشتقاق قديم، يرجع العهد به إلى زمان الأصمعي وقطرب وأبي الحسن الأخفش، وكلهم قد ألَّف في هذا الفن[٢]. ولكن ابن دريد بدأ النجاح الكبير لهذه الفكرة بتأليف كتاب «**الاشتقاق**»، وثَنَّاه ابن فارس بتأليف «**المقاييس**»، وحاول معاصراه أبو علي الفارسي[٣]، وتلميذه أبو الفتح بن جنى[٤] أن يصعدا درجةً فوق هذا، بإذاعة قاعدة الاشتقاق الأكبر، التي تجعل للمادة الواحدة وجميع تقاليبها أصلاً

---

(١) ولد ابن دريد بالبصرة سنة ٢٢٣ وتوفي بعمان سنة ٣٢١.

(٢) «**المزهر**» ١/ ٣٥١.

(٣) كانت وفاته سنة ٣٧٧.

(٤) وفاة ابن جني سنة ٣٩٢.

أو أصولاً ترجع إليها[١]، فأخفقا في ذلك، ولم يستطيعا أن يشيعا هذا المذهب في سائر مواد اللغة.

٤ ـ مؤلفات ابن فارس

وابن فارس يعدُّ في طليعة العلماء الذي أخذوا من كل فن بسهم وافر، ولم يقف بنفسه عند حدِّ المعرفة والتعليم، بل اقتحم بها ميدان التأليف الموفق، فهو يذهب فيه إلى مدى متطاول. ويحتفظ التاريخ له بهذه المؤلفات العديدة القيمة:

١ ـ «**الإتْباع والمزاوجة**»: وهو ضرب من التأليف اللغوي. قال السيوطي في «**المزهر**»[٢]: «وقد ألَّف ابن فارس المذكور تأليفاً مستقلاً في هذا النوع، وقد رأيته مرتباً على حروف المعجم، وفاته أكثر مما ذكره. وقد اختصرت تأليفه وزدت عليه ما فاته، في تأليف لطيف سمَّيتُه: «**الإلماع في الإتباع**»».

ذكر هذا الكتاب السيوطي في «**بغية الوعاة**» و«**المزهر**». ومنه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٥٥ ش لغة، وهي نسخة قديمة جيدة كتبت سنة ٧١١ بخط عمر بن أحمد بن الأزرق الشاذلي. وقد نشره المستشرق رودلف برونو، بمدينة غيسن سنة ١٩٠٦، ويقع في ٢٤ صفحة.

٢ ـ **اختلاف النحويين**: ذكره السيوطي في «**البغية**» وحاجّي خليفة في «**كشف الظنون**» باسم «**اختلاف النحاة**»، وقد ذكره ياقوت باسم «**كفاية المتعلمين، في اختلاف النحويين**».

٣ ـ **أخلاق النبي** ﷺ: ذكره ياقوت في «**إرشاد الأريب**».

٤ ـ **أصول الفقه**: ذكره ياقوت في «**إرشاد الأريب**».

٥ ـ **الإفراد**: ذكره السيوطي في «**الإتقان**» (١/ ١٤٣).

٦ ـ **الأمالي**: ذكره ياقوت في «**معجم البلدان**» (أوطاس) ونقل عنه.

٧ ـ **أمثلة الأسجاع**: وجدته يذكر هذا الكتاب في نهاية كتاب «**الإتباع والمزاوجة**». قال: «وسترى ما جاء من كلامهم في الأمثال وما أشبه الأمثال من حكمهم على السجع، في كتاب أمثلة الأسجاع إن شاء الله تعالى».

٨ ـ **الانتصار لثعلب**: أورده السيوطي في «**بغية الوعاة**»، وحاجّي خليفة، وقد سرد حاجّي خليفة طائفة من الكتب التي تحمل عنوان «**الانتصار**» ينتصر فيها عالم لآخر. وثعلب من أئمة الكوفيين، وكان ابن فارس يميل إلى الجانب الكوفي ويتأثر مذاهبه.

---

(١) مثال ذلك ما أورده ابن جني في صدر «**الخصائص**»، من أن معنى (ق و ل) أين وجدت وكيف وقعت من تقدم بعض حروفها على بعض وتأخره عنه، إنما هو للخفوف والحركة. يعني (ق و ل) و(ق ل و) و(و ق ل) و(و ل ق) و(ل ق و) و(ل و ق).

(٢) «**المزهر**» (١/ ٤١٤). وجاء في (١/ ٤٢٠): «**كتاب إلماع الإتباع لابن فارس**». وهو تحريف، وصوابه «**الإتباع**» فقط.

.... **ـ أوجز السير:** انظر سيرة النبي ﷺ.

٩ **ـ التاج:** ذكره ابن خير الأندلسي في «**فِهْرِسْتِهِ**» (ص ٣٧٤) طبع سرقسطة.

١٠ **ـ تفسير أسماء النبي عليه الصلاة والسلام:** وهو ضرب من التأليف الاشتقاقي. عدَّه ابن الأنباري في «**نزهة الألباء**»، وياقوت في «**إرشاد الأريب**»، والسيوطي في «**بغية الوعاة**».

١١ **ـ تمام فصيح الكلام:** منه نسخة بالمكتبة التيمورية برقم ٥٢٣ لغة، ويقع هذا الكتاب في ٢٧ صفحة صغيرة. قرأت في أواخره: «قال أحمد بن فارس: هذا آخر ما أردت إثباته في هذا الباب. ولم أعنِ أن أبا العباس[١] قصَّر عنه، لكن المشيخة آثروا الاختصار. وحقاً أقول إن ما ذكرته من علم أبي العباس جزاه الله عنا خيراً». فهو قد جعل هذا الكتاب ذيلاً «**لفصيح ثعلب**»، وجاء في نهاية تمام «**الفصيح**»: «وكتب أحمد بن فارس بن زكريا بخطه في شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة بالمحمدية. وفرغ من نسخ هذه النسخة عن خط مؤلفها، ياقوت بكرة الأحد سنة ٦١٦ هـ بِمَرْوِ الشاهجان. وكتب عن هذه النسخة غرة ربيع الثاني سنة ١٣٤٥».

وذكره بروكلمان في ملحق الجزء الأول ص ١٩٨ وذكر أن منه نسخة بالنجف كتبها ياقوت في مرو الروذ في ٧ ربيع الثاني سنة ٦١٦ عن نسخة المؤلف التي يرجع تاريخها إلى سنة ٣٩٣ هـ. قلت: ذكر ياقوت في «**معجم البلدان**» (رسم المحمدية) أنه وجد بمرو نسخة من هذا الكتاب بخط ابن فارس كتبها في شهر رمضان سنة ٣٩٠ بالمحمدية. وهذا التاريخ يغاير التاريخ الذي سبق، ويبدو أن ابن فارس قد كتب هذا الكتاب عدة مرات[٢].

١٢ **ـ الثلاثة:** ذكره بروكلمان في الجزء الأول ص ١٣٠، وأن منه نسخة بمكتبة الإسكوريال (فهرس ديرنبورج ٣٦٣).

١٣ **ـ جامع التاويل:** في تفسير القرآن، أربع مجلدات، كما يذكر ياقوت في «**إرشاد الأريب**».

١٤ **ـ الحجر:** وقد سبقت الإشارة إلى هذا الكتاب في ص (٥) من هذه المقدمة وهو من الكتب التي سردها ياقوت، وقد أشار ابن فارس إلى هذا الكتاب في «**الصاحبي**» ١٥ ـ ١٦ .

١٥ **ـ حلية الفقهاء:** جاء في سرد ياقوت، وابن خلكان، والسيوطي في «**بغية الوعاة**»، واليافعي في «**مرآة الجنان**» وابن العماد في «**شذرات الذهب**» (في وفيات ٣٩٠)، وحاجي خليفة.

١٦ **ـ الحماسة المحدَثة:** هو في عداد الكتب التي ذكرها ياقوت له[٣]، وذكره ابن النديم في «**الفهرست**» (ص ١١٩) .

١٧ **ـ خُضارة**[٤]: ذكره ابن فارس نفسه في نهاية كتابه «**فقه اللغة**» المعروف «**بالصاحبي**» (ص ٢٣٢)؛

---

(١) يعني أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلب. (٢) انظر ما سبق في المقدمة ص (٧، ٨).

(٣) إن الرسالة التي رواها الثعالبي ـ وتجد نصها في ص (٩ ـ ١٢) من هذه المقدمة ـ توضح نظرة ابن فارس إلى الحماسات المحدثة.

(٤) خضارة، بضم الخاء: علم جنس للبحر. يقال للبحر خضارة، وخضير كزبير، والأخضر.

قال: «وما سوى هذا مما ذكرت الرواةُ أن الشعراء غلطوا فيه فقد ذكرتُه في كتاب خُضارة، وهو كتاب نعت الشعر[١]».

١٨ ـ **خَلق الإنسان:** في أسماء أعضائه وصفاته. وقد أَلَّف في هذا الضرب كثير من اللغويين، ومنهم ابن فارس، كما في «**كشف الظنون**»، وذكر هذا الكتاب أيضاً ياقوت في «**إرشاد الأريب**»، والسيوطي في «**بغية الوعاة**». وقد أثبته بروكلمان في ملحق الجزء الأول (ص ١٩٨) باسم «مقالة في أسماء أعضاء الإنسان»، وهي في مخطوطات الموصل ص ٣٣ بالمجموعة ١٥٢ رقم ٥ . ونشره داود الحلبي في مجلة «**المشرق**» السنة التاسعة ١١٠ ـ ١١٦ .

١٩ ـ **دارات العرب:** ذكره ابن الأنباري في «**نزهة الألباء**»، وياقوت في «**إرشاد الأريب**». وذكره مرة أخرى في «**معجم البلدان**» (٤/ ١٤)، قال: «ولم أر أحداً من الأئمة القدماء زاد على العشرين دارة، إلا ما كان من أبي الحسين بن فارس؛ فإنه أفرد له كتاباً فذكر نحو الأربعين، فزدت أنا عليه بحول الله وقوته نحوها[٢]».

٢٠ ـ **نخائر الكلمات:** عدَّه ياقوت في «**إرشاد الأريب**».

٢١ ـ **ذم الخطأ في الشعر:** ذكره السيوطي في «**بغية الوعاة**»، وحاجّي خليفة في «**كشف الظنون**». وقد طبع هذا الكتاب مع «**الكشف عن مساوىء شعر المتنبي للصاحب بن عباد**» بمطبعة المعاهد بالقاهرة ١٣٤٩، نشره القدسي. وهذا الكتاب لا يتجاوز أربع صفحات، يبتدىء من صفحة ٢٩ وينتهي إلى ص ٣٢ . ومنه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ١٨١ صرف، وبمكتبة برلين برقم ٧١٨١ . واستظهر بروكلمان في ملحق الجزء الأول أنه الذي يسمى نقد الشعر، وليس كذلك.

٢٢ ـ **ذم الغيبة:** قال حاجيّ خليفة: ««**ذم الغيبة**» لأبي الحسين أحمد بن فارس المار ذكره، ذكره ابن حجر في «**المجمع**»[٣]».

٠٠ ـ **رائع الدرر، ورائق الزهر، في أخبار خير البشر:** انظر: سيرة النبي ﷺ.

٢٣ ـ **سيرة النبي ﷺ:** وصفه ياقوت بأنه كتاب صغير الحجم. وقد نبه بروكلمان على كتاب «**مختصر سير رسول الله**»، منه نسخة بالإسكوريال (ديرنبورج ١٦١٥) ونسختان بالقاهرة إحداهما برقم ٤٦٠ تاريخ والثانية برقم ٤٩٤ مجاميع وعنوانها «**سيرة ابن فارس اللغوي المختصرة**». وقال بروكلمان: لعله الموجود ببرلين برقم ٩٥٧٠ باسم «**مختصر في نسب النبي ومولده ومنشئه ومبعثه**»، ولعله الموجود في الفاتيكان (فهرس بورج ص ١٤٤) باسم «**رائع الدرر، ورائق الزهر، في أخبار خير البشر**»[٤]،

---

(١) نقل هذا النص السيوطي في «**المزهر**» (٢/ ٤٩٨) بلفظ «نقد الشعر».

(٢) هذه مبالغة منه، وإلا فإن مجموع ما ذكره هو سبعون دارة.

(٣) «**المجمع المؤسس، للمعجم المفهرس**»، للحافظ ابن حجر العسقلاني، منه نسخة بدار الكتب برقم ٧٥ مصطلح.

(٤) منه صورة شمسية بالمكتبة التيمورية ٣٥٤ مجاميع.

ولعله أيضاً كتاب «**أخلاق النبي**» الذي كَتب فيه «كاسان» **في** مجلة «**إسلام**» ١٧/ ١٩٤ .

وأقول: هذا الاحتمال الأخير ضعيف، فإن ياقوتاً ذكرهما كتابين، كما أن العنوانين يحملان معنيين متغايرين عند مؤلفي الإسلام؛ وقد اطلعتُ على كتاب السيرة، فإذا هو موضوعٌ وضعَ السير لا وضع كتب الشمائل النبوية. ويقع في ثماني صفحات، أوله: «هذا ذكر ما يحق على المرء المسلم حفظه، ويجب على ذي الدين معرفته، من نسب رسول الله ﷺ ومولده ومنشئه ومبعثه وذكر أحواله في مغازيه، ومعرفة أسماء ولده وعمومته وأزواجه».

وأقول أيضاً: قد طبع الكتاب مرتين باسم «أوجز السير لخير البشر» إحداهما في الجزائر سنة ١٣٠١ والأخرى في بمباي سنة ١٣١١ .

٢٤ ـ **شرح رسالة الزهري إلى عبد الملك بن مروان**: ذكره ياقوت. والزهري هذا هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري، أحد أعلام التابعين. وكان الزهري مع عبد الملك، ثم هشام بن عبد الملك، وكان يزيد بن عبد الملك قد استقضاه[١].

٢٥ ـ **الشّيات والحِلَي**: وقد جاء محرفاً في الطبعة الحديثة من «**إرشاد الأريب**» باسم «الثياب والحلى».

٢٦ ـ **الصاحبي**: وهو الاسم الذي شهر به كتاب «**فقه اللغة**». وقد عرف هذا الكتاب ابن الأنباري والسيوطي باسم «**فقه اللغة**»، وأما ياقوت فقد أخطأ في السرد، إذ جعل «الصاحبي» كتاباً آخر غير «**فقه اللغة**»، وإنما الكتاب «**فقه اللغة**» صنفه للصاحب بن عباد فسمي بالصاحبي. وأنت تجد أول كتاب «**فقه اللغة**»: «هذا الكتاب الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها، وإنما عنونته بهذا الاسم لأني لما ألفته أودعته خزانة الصاحب».

وقد عنى بنشر هذا الكتاب في القاهرة الأخ الجليل الأستاذ السيد محب الدين الخطيب، نشره بمطبعة المؤيد سنة ١٣٢٨ عن نسخة الشنقيطي المودعة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧ش لغة، وهي بخط الشنقيطي. وذكر بروكلمان من مخطوطاته نسخة بمكتبة أيا صوفيا برقم ٤٧١٥، وأخرى بمكتبة بايزيد برقم ٣١٢٩ .

وقد اقتبس الثعالبي اسم هذا الكتاب «**فقه اللغة**»، كما اقتبس كثيراً من فصوله الأخيرة في «**سر العربية**» وإن كان الثعالبي قد أربى على ابن فارس. وكما ألَّف ابن فارس كتابه للصاحب، ألَّف الثعالبي كتابه للأمير أبي الفضل الميكالي.

٠٠ ـ **العرق**: ذكره ياقوت، ويبدو أنه تصحيف «الفرق» الذي سيأتي.

٢٧ ـ **العم والخال**: ذكره ياقوت.

٢٨ ـ **غريب إعراب القرآن**: ذكره ابن الأنباري وياقوت.

٢٩ ـ **فتيا فقيه العرب**[٢]: ذكره ابن الأنباري، والقفطي في «**إنباه الرواة**». وقال السيوطي في «**المزهر**»، عند الكلام على «**فتيا فقيه العرب**»: «وذلك أيضاً ضرب من الإلغاز. وقد ألَّف فيه ابن فارس تأليفاً

(١) انظر «**وفيات الأعيان**».

(٢) انظر ما سبق في هذه المقدمة (ص ١٢).

لطيفاً في كراسة، سماه بهذا الاسم، رأيته قديماً وليس هو عندي الآن. فنذكر ما وقع من ذلك في مقامات الحريري، ثم إن ظفرت بكتاب ابن فارس ألحقت ما فيه». ولكن السيوطي لم يلحق بالمزهر شيئاً من كتاب ابن فارس، وقد ذكَر هذا الكتاب في البغية باسم «**فتاوى فقيه العرب**». وذكر ابن خلكان هذا الكتاب باسم «**مسائل في اللغة وتعانى بها الفقهاء**»، والسيوطي في «**بغية الوعاة**» بلفظ: «**مسائل في اللغة يغالي بها الفقهاء**» واليافعي في «**مرآة الجنان**» برسم «**مسائل في اللغة يتعانى الفقهاء**»، وصواب هذا كله «**مسائل في اللغة يُعايا بها الفقهاء**» والمعاياة: أن تأتي بكلامٍ لا يُهتَدَى إليه. وقد نبه بروكلمان أنه في مكتبة مشهد بفهرسها (١٥/٢٩، ٨٤).

٣٠ ـ **الفَرق**: ذكره ابن فارس في نهاية «**تمام الفصيح**»، قال: «فأما الفرق فقد كنت ألفت على اختصاري له كتاباً جامعاً، وقد شهر، وبالله التّوفيق».

٣١ ـ **الفريدة والخرِيدة**: ذكره في «**طبقات الشافعية**» ٤/ ٢ .

٠٠ ـ **الفصيح**: ذكره ياقوت، قال: «وجدت خط كفه على كتاب الفصيح تصنيفه، وقد كتبه سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة. قلت: صوابه «**تمام الفصيح**»، وقد سبق.

٠٠ ـ **فقه اللغة**: سبق الكلام عليه في رسم «**الصاحبي**».

٣٢ ـ **قصص النهار وسمر الليل**: أورده بروكلمان في ملحق الجزء الأول، ومنه نسخة في مكتبة ليبسك برقم ٨٧٠ .

٣٣ ـ **كفاية المتعلمين في اختلاف النحويين**: ذكره ياقوت، وأراه كتاب «**اختلاف النحويين**» وقد مضى.

٣٤ ـ **اللامات**: نبه بروكلمان أن منه نسخة بالمكتبة الظاهرية، وقد نشره برجستراسر في مجلة (Islamica) الألمانية ص ٧٧ ـ ٩٩ .

ووجدت العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي في مقدّمة «مقالة كلا» يقول: «وبين يدي نسخةٌ مسخها ناسخها». وأقول: قد عقد ابن فارس في «**الصّاحبي**» (٨٣ ـ ٨٧) باباً كبيراً لِلاّمات. وقد أورد حاجّي خليفة «**كتاب اللامات**» لابن الأنباري.

٣٥ ـ **الليل والنهار**: ذكره ياقوت والسيوطي في بغية الوعاة، وحاجّي خليفة، ولعله «**قصَص النهار وسمر الليل**».

٣٦ ـ **مآخذ العلم**: ذكره ابن حجر في «**المجمع المؤسس**» ص ٢٠٨ من مخطوطة دار الكتب المصرية، وذكره أيضاً حاجّي خليفة في «**كشف الظنون**».

٣٧ ـ **متخير الألفاظ**: ذكره ابن الأنباري وياقوت، وذكره الجرجاني في «**الكنايات**» ١٤٥ باسم «**مختار الألفاظ**».

٣٨ ـ **المُجْمَل**: وهو أشهر كتُب ابن فارس، وقد سبق الكلام عليه في هذه المقدمة. ومنه ثلاث نسخ مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٢٣٨، ٣٨٢، ١٨ش. وقد طبع الجزء الأول منه بالقاهرة في مطبعة السعادة سنة ١٣٣١ عن نسخة بخط مصرف بن شبيب بن الحسين سنة ٥٩١ قرأها الإمام الشنقيطي. وقد سرد بروكلمان منه نحو عشرين مخطوطة في مكتبات برلين، وجوته، وليدن،

وباريس، والمتحف البريطاني، والمكتب الهندي، وبودليان، وامبروزيانا، وبني جامع، وكوبريلي، ودمشق، ونور عثمانية، ولالالي، ودمشق، والموصل، ومشهد.

٠٠ ـ **مختصر سير رسول الله:** انظر: سيرة النبي ﷺ.

٣٩ ـ **مختصر في المؤنث والمذكر:** منه نسخة بالمكتبة التيمورية بالقاهرة برقم ٢٦٥ لغة، تقع في ١٥ صفحة، قرأت في أوله: «هذا مختصر في معرفة المذكر والمؤنث لا غنى بأهل العلم عنه، لأن تأنيث المذكر وتذكير المؤنث قبيح جداً».

٠٠ ـ **مختصر في نسب النبي ومولده ومنشئه ومبعثه:** انظر: سيرة النبي ﷺ.

٠٠ ـ **مسائل في اللغة:** انظر: فتيا فقيه العرب.

٠٠ ـ **مقالة في أسماء أعضاء الإنسان:** انظر: خلق الإنسان.

٤٠ ـ **مقالة كَلاّ وما جاء منها في كتاب الله:** نشرها العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي في القاهرة سنة ١٣٤٤ بالمطبعة السلفية، عن نسخة في مجموعة بمكتبة المرحوم عبد الحي اللكنوي، وتقع في نحو ١٢ صفحة. وهي مطبوعة في أول مجموعة تشمل أيضاً كتابَ ما تلحن فيه العوام للكسائي، ورسالة محيي الدين بن عربي إلى الإمام الفخر الرازي. وقد ذكرها ابن فارس في «**الصاحبي**» ص ١٣٤، وقال: «وقد ذكرنا وجوه كلا في كتاب أفردناه».

٤١ ـ **المقاييس:** وسأفرد له قولاً خاصاً.

٤٢ ـ **مقدمة الفرائض:** ذكره ياقوت في إرشاد الأريب.

٤٣ ـ **مقدمة في النحو:** ذكره ابن الأنباري، والسيوطي في «**بغية الوعاة**»، وحاجّي خليفة في «**كشف الظنون**».

٠٠ ـ **نعت الشعر، أو نقد الشعر:** انظر: خضارة.

٤٤ ـ **النيروز:** منه نسخة بمكتبة تيمور باشا برقم ٤٠٢ لغة، تقع في ثماني صفحات. وهذه النسخة مستنسخة من المكتبة الظاهرية بدمشق، كتبت في سنة ١٣٣٩.

٤٥ ـ **اليشكريات:** منها جزء بالمكتبة الظاهرية (فهرسها ٢٩/١١) كما ذكر بروكلمان.

٥ ـ كتاب المقاييس

يبدو من قول ياقوت في أثناء سرده لكتب ابن فارس: (كتاب «**مقاييس اللغة**»، وهو كتاب جليل لم يصنف مثله)، أنه اطلع على هذا الكتاب ونظر فيه. ولم أجدْ أحداً غير ياقوت يذكر هذا الكتاب لابن فارس، ولعله من أواخر الكتب التي ألَّفها، فلذلك لم يظفر بالشهرة التي ظفر بها غيره.

معنى المقاييس:

وهو يعني بكلمة المقاييس ما يسميه بعض اللغويين «الاشتقاق الكبير» الذي يرجع مفردات كل مادة إلى معنى أو معانٍ تشترك فيها هذه المفردات. قال في «**الصاحبي**» (ص ٣٣): «أجمع أهل اللغة إلا من

شذ منهم، أن للغة العرب قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، وأن اسم الجن مشتق من الاجتنان». وابن فارس لا يعتمد اطراد القياس في جميع مواد اللغة، بل هو ينبه على كثير من المواد التي لا يطرد فيها **القياس**[١]، كما أنه يذهب إلى أن الكلمات الدالة على الأصوات وكثيراً من أسماء البلدان ليس مما يجري عليه القياس. ويفطن إلى الإبدال فطنة عجيبة، فلا يجعل للمواد ذات الإبدال معنى قياساً جديداً، بل يردها إلى ما أبدلت منه[٢].

نسخ المقاييس:

وهذا الكتاب لم يسترع انتباه العُلماء إلا منذ عهد قريب، وكانت وزارة المعارف المصرية قد اعتزمت نشره منذُ بضع سنوات، ولكن لم يحقق ما اعتزمته حينئذٍ. وقد أشار بروكلمان إلى أن كتاب «**المقاييس**» قد وضع في البرنامج الذي وضعَته دائرة معارف حيدر أباد الدكن سنة ١٣٥٤ للكتب الَّتي انتَوت نشرها، وهذا العَزم لم يحقق أيضاً.

ولقَد دفَعتُ بنفسي إلى تحرِيرِ هذا الكتاب دَفْعاً، بَعد ما آذَنَتْ بارتِداد، فإني لم أجِد أمامي منه إلا نُسخة واحِدة مودعة بِدار الكتب المصرية.

وهذا الكتاب لم ينل حظوة المجمل في كثرة نُسخه وتعَدُّد أصوله، فإن منه نُسخة بالمدرسةِ المَرْوية بالبلاد الفارسية، وعن هذه النسخةِ أخذت صورتان لدار الكُتب المِصرية، وصورة للمكتَبةِ التَّيمورية، وأخرَى لمكتَبَة مجمع فؤاد الأول للغةِ العربية، ورابعَةٌ لأنِستاس ماري الكرملي، فيما أخبرني عن النسخة الأخيرة بعض الثقات.

وصورتا دار الكتب المصرية إحداهما مُوجبَة والأخرَى سالبَة، كما اصطلح أصحاب التَّصوير: فالموجبَة برقم ٦٥٢ لغة والسالبة برقم ٦٥١ لغة، وقد نشَرْت إزاء صدر هذَا الفَصْلِ مِنَ المقدَّمة صورة لبَعْضِ المواضع مِنَ النسخة الموجبَة. والنسخةُ في ٧٧٩ صفحة، يضاف إليها صفحتان كُرر الترقيم فيهما سهواً، وهما صفحتا ٤٩٧، ٤٩٨ وكل صفحتَين مِنها في لوحٍ واحد مِنْ ألواح التَّصوير الشمسي، عدد أسطُره سبعة وعشرون، وحجم الصفحة (١٢ × ٢٤).

وهذه النسخة يشيع فيها التحريف والاضطراب، كما أن بها بعْضاً مِنَ الفجواتِ والأسقاط، وبعضاً مِنَ الإقحام والتزيُّد.

وقد أشارَ بروكلمان إلى نسخةٍ بالنجف، وزعم أن أصل نسخة القاهرة في «مَرَاكشُ»، وهو سهو منه.

المجمل والمقايس:

لا يساورني الريب أن «**المقاييس**» مِنْ أواخِر مؤلفاتِ ابن فارِس، فإن هذَا النضج اللغوي الذي

(١) انظر للمثال مادة (تبن) و(جعل) من هذا الجزء.

(٢) انظر للمثال مادة (شجر، حجم، جر، جمخ، جهف).

يَتجَلّى فيه، مِنْ دلائل ذلك، كما أن خمول ذكْرِ هذَا الكتَاب بين العُلماء والمؤلفين، مِنْ أدلة ذلك، ولو أنه أتيح له أن يحيا طويلاً في زمان مُؤلفه لاستَولى على بعْضِ الشهرة الَّتي نالها صنوهُ «**المجمل**».

وأستَطيع أن أذهب أيضاً إلى أنه أَلَّف «**المقاييس**» بعدَ تأليفه «**المجمل**»، فإن الناظرَ في الكِتابين يلمس القوة في الأول، ويجِد أن ابن فارسٍ في «**المجمل**» إذا حاول الكلام في الاشتِقاق فإنما يحاوله في ضعف والتواء، فهو في مادة (جن) مِنَ «**المجمل**» يقول: «وسميت الجن لأنها تتَّقي ولا تُرَى، وهذا حَسَنٌ». فهو يعجبه أن يهتدي إلى اشتقاق كلمة واحدة من مادة واحدة، وليس يكون هذا شأنَ رجلٍ يكون قد وضع من قبلُ كتاباً فيه آلاف من ضروب الاشتقاق، بل هو كلام رجل لم يكن قد أوغل من قبل في هذا الفن.

وهو في «**المجمل**» يترك بعض مسائل اللغة على علاتها، على حين ينقدها في المقاييس نقداً شديداً. ففي «**المجمل**»: «ويقال: الأترور الغلام الصغير، في قوله:

مِـــنْ عـــامِـــلِ الـــشُّـــرْطَـــةِ والأُتـــرورِ»

وفي «**المقاييس**»: «وكذلك قولهم إن الأترور الغلام الصغير. ولولا وجداننا ذلك في كتبهم لكان الإعراض عنه أصوب، وكيف يصح شيء يكون شاهده مثل هذا الشعر:

أعـــوذ بـــالـــلَّـــه وبـــالأمـــيـــر مـــن عـــامـــل الـــشـــرطـــة والأتـــرورِ»

على أني لو أمعنت في الموازنة بين «**المجمل**» و«**المقاييس**» لأعضد هذا الرأي، لاقتضاني ذلك أن أكتب كثيراً ولكن يستطيع القارىء بالنظر في الكتابين أن يذهب معي هذا المذهب.

نظام المعجم والمقاييس:

جرى ابن فارس على طريقة فاذَّةٍ بين مؤلفي المعجم، في وضع معجميه: «**المجمل**» و«**المقاييس**». فهو لم يرتّب موادهما على أوائل الحروف وتقليباتها كما صنع ابن دريد في «**الجمهرة**»، ولم يطردها على أبواب أواخر الكلمات كما ابتدع الجوهري في «**الصحاح**»، وكما فعل ابن منظور والفيروز آباديّ في معجميهما، ولم يَنسُقْها على أوائل الحروف فقط كما صنع الزمخشري في «**أساس البلاغة**»، والفيومي في «**المصباح المنير**». ولكنه سلك طريقاً خاصّاً به، لم يفطن إليه أحد من العلماء ولا نَبَّه عليه. وكنت قد ظننت أنه لم يلتزم نظاماً في إيراد المواد على أوائل الحروفِ، وأنه ساقها في أبوابها هملاً على غير نظام. ولكني بتتبُّع «**المجمل**» و«**المقاييس**» ألفَيْته يلتزم النظامَ الدقيقَ التالي:

١ - فهو قد قسم مواد اللغة أوّلاً إلى كتب، تبدأ بكتاب الهمزة وتنتهي بكتاب الياء.

٢ - ثم قسم كل كتاب إلى أبواب ثلاثة أولها باب الثنائي المضاعف والمطابق، وثانيها أبواب الثلاثي الأصول من المواد، وثالثها بابُ ما جاء على أكثر من ثلاثة أحرفٍ أصلية.

٣ - والأمر الدقيق في هذا التقسيم أن كل قسم من القسمين الأوَّلين قد التُزم فيه ترتيبٌ خاص: هو ألا يبدأ بعد الحرفِ الأوّل إلا بالذي يليه.

ولذا جاء بابُ المضاعف في كتاب الهمزة، وباب الثلاثي مما أوله همزة وباء، مرتباً ترتيباً طبيعياً على نسق حروفِ الهجاء.

ولكن في «باب الهمزة والتاء وما يثلثهما» يتوقع القارىء أن يأتي المؤلف بالمواد على هذا الترتيب: (أتب، أتل، أتم، أتن، أته، أتو، أتي)، ولكن الباء في (أتب) لا تلي التاء بل تسبقها، ولذلك أخرها في الترتيب إلى آخر الباب فجعلها بعد مادة (أتي).

وفي باب التاء من المضاعف يذكر أوّلاً (تخ) ثم (تر) إلى أن تنتهي الحروف، ثم يرجع إلى التاء والباء (تب)، لأن أقرب ما يلي التاء من الحروفِ في المواد المستعملة هو الخاء.

وفي أبواب الثلاثي من التاء لا يذكر أولاً التاء والهمزة وما يثلثهما، بل يؤخر هذا إلى أواخر الأبواب، ويبدأ بباب التاء والجيم وما يثلثهما، ثم باب التاء والحاء وما يثلثهما، وهكذا إلى أن ينتهي من الحروف، ثم يرجع أدراجه ويستأنف الترتيب من باب التاء والهمزة وما يثلثهما؛ وذلك لأن أقرب ما يلي التاء من الحروفِ في المواد المستعملة هو الجيم. وتجد أيضاً أن الحرفَ الثالث يراعى فيه هذا الترتيب، ففي باب التاء والواو وما يثلثهما يبدأ بـ (توي) ثم (توب) ثم (توت) إلى آخره، وذلك لأن أقرب الحروفِ التي تلي الواو هو الياء.

وفي باب الثاء من المضاعف لا يبدأ بالثّاء والهمزة ثم بالثّاء والباء، بل يرجىء ذلك إلى أواخر الأبواب، ويبدأ بالثّاء والجيم (ثج)، ثم بالثّاء والراء (ثر) إلى أن تنتهي الحروف، ثم يستَأنف الترتيب بالثّاء والهمزة (ثأ) ثم بالثّاء والبَاء (ثب).

وفي أبواب الثلاثي من الثّاء لا يبدأ بالثّاء والهمزة وما يثلثهما ثم يعقّب بالثّاء والباء وما يثلثهما، بل يدع ذلك إلى أواخر الأبواب؛ فيبدأ بالثّاء والجيم وما يثلثهما إلى أن تنتهي الحروف، ثم يرجع إلى الأبواب التي تركها. وتجد أيضاً أن الحرف الثّالث يراعى فيه الترتيب، ففي باب الثّاء واللام وما يثلثهما يكون هذا الترتيب (ثلم، ثلب، ثلث، ثلج)... الخ.

وفي باب الجيم من المضاعف يبدأ بالجيم والحاء (جح) إلى أن تنتهي الحروف (جو) ثم ينسقُ بعد ذلك؛ جأ، جب).

وفي أبواب الثلاثي من الجيم يبدأ بباب الجيم والحاء وما يثلثهما إلى أن تنتهي الحروف، ثم يذكر باب الجيم والهمزة وما يثلثهما، ثم باب الجيم والباء، ثم الجيم والثّاء، مع مراعاة الترتيب في الحرف الثّالث، ففي الجيم والنون وما يثلثهما يبدأ أوّلاً بـ (جنه) ثم (جني) ويعود بعد ذلك إلى (جنأ، جنب، جنث) الخ.

هذا هو الترتيب الذي التزمه ابن فارس في كتابيه «**المجمل**» و«**المقاييس**» وهو بِدْع كما ترى.

الإسكندرية في ١٠ شعبان سنة ١٣٦٦

عبد السلام محمد هارون